المحاضرة الثالثة: محمد بوخبزة

الاقتصاد الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي: التوازن والتكامل:

يُظهر محمد بوخبزة في دراسته التاريخية أن الجزائر، قبل الاحتلال الفرنسي، كانت تتمتع بنظام اقتصادي متوازن يعتمد على نموذج فلاحو-رعوي متكامل. كان هذا النظام يتكون من ثلاثة أنماط اقتصادية رئيسية، والتي شكلت معًا البنية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد:

1. المدن: كانت تعتبر مراكز حيوية للتجارة والحِرَف، حيث ازدهرت الأسواق المحلية وتبادل السلع. وقد اختلف النشاط الاقتصادي في المدن من حيث الحجم والإنتاج بناءً على موقعها الجغرافي ومدى تفاعلها مع الأرياف والمناطق الرعوية.

2. المناطق الفلاحية: كان النشاط الاقتصادي هنا يعتمد بشكل أساسي على الزراعة، حيث استغل السكان الأراضي الخصبة لإنتاج محاصيل متنوعة، مع وجود أنشطة رعوية محدودة في بعض المناطق.

3. المناطق الرعوية: كان سكان هذه المناطق يعتمدون بشكل رئيسي على تربية المواشي، بينما قام البعض بممارسة أنشطة زراعية صغيرة، خاصة في الواحات والمناطق القريبة من مصادر المياه.

الهيكل الاقتصادي للجزائر قبل الاحتلال: عمليات مترابطة:

كان الاقتصاد الجزائري في ذلك الوقت يعتمد على ثلاث عمليات أساسية متكاملة، والتي لعبت دورًا مهمًا في تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي:

- **الإنتاج :(Processus de production)** قبل الاستعمار، كان النشاط الإنتاجي في الجزائر يعتمد بشكل كبير على توزيع الموارد الجغرافية. في المناطق الشمالية، كان الفلاحون يركزون على زراعة المحاصيل الأساسية، بينما كان الفلاحون-الرعاة في منطقة التل يمارسون نمط حياة مزدوج يجمع بين الزراعة وتربية المواشي. أما الرحل الذين عاشوا في الهضاب العليا والصحراء، فكانت حياتهم الاقتصادية تعتمد على استغلال المراعي الموسمية، بالإضافة إلى الاستفادة من موارد الغابات والمنتجات الزراعية خلال تنقلاتهم .
- **التداول :(Processus de circulation)** لقد لعب الرحل دورًا أساسيًا في دفع عجلة الاقتصاد من خلال توفير وسائل النقل الضرورية لنقل السلع بين المناطق المختلفة. كانوا بمثابة حلقة الوصل بين المدن والواحات والمناطق الرعوية. التجارة كانت جوهر هذا النشاط، حيث تبادل سكان الواحات والقصور الصحراوية منتجات مثل النسيج، الشاي، السكر، والمنتجات الجلدية مع سكان المدن والمزارعين الذين قدموا لهم اللحوم، الصوف، الزبدة، والجلود. كان هذا التدفق المستمر للسلع عنصرًا حيويًا في استدامة النظام الاقتصادي المحلي.
- **الاستهلاك :(Processus de consommation)** اعتمد المجتمع الجزائري على نمط استهلاك متكامل يقوم على التعاون بين الفلاحين والرعاة والرحل، مما ساعد في تحقيق الأمن الغذائي والاقتصادي. وقد ساهم هذا التوزيع المتوازن للموارد في تعزيز الاستقرار

الاقتصادي، حيث لم يكن هناك اعتماد مفرط على قطاع واحد، بل كان الاقتصاد يعتمد على التنوع والتكامل بين الزراعة، والرعي، والتجارة.

الرحل: العمود الفقري للحركة الاقتصادية:

كان الرحل يمثلون عنصرًا حيويًا ومؤثرًا في الاقتصاد الجزائري قبل الاحتلال. لم يقتصر دورهم على التنقل والرعي فقط، بل كانوا جزءًا لا يتجزأ من الدورة الاقتصادية. من خلال تنقلاتهم المستمرة، أصبحوا وسطاء تجاريين، ينقلون المنتجات بين المناطق المختلفة، مما ساعد في توزيع الموارد بشكل أكثر فعالية. كما أن نمط حياتهم المتنقل منحهم استقلالية كبيرة، مما أتاح لهم التأثير في مجريات الحياة الاقتصادية.

التحولات الاقتصادية بعد الاحتلال الفرنسي: انهيار النموذج التقليدي:

مع الاحتلال الفرنسي، واجه هذا النظام الاقتصادي المتكامل ضربة قوية. فقد قامت السلطات الاستعمارية بفرض سيطرتها على الأراضي، مما أدى إلى تدمير نمط الحياة الرعوي-الفلاحي. تم الاستيلاء على الأراضي الزراعية الخصبة، وإعادة هيكلة الاقتصاد بما يتماشى مع المصالح الفرنسية، مما تسبب في تراجع دور الرحل وانهيار التوازن الذي كان موجودًا بين الفلاحة، والرعي، والتجارة. هذا التغيير القسري أدى إلى نشوء أزمات اقتصادية واجتماعية طويلة الأمد، أثرت بشكل جذري على البنية الاقتصادية الجزائرية.